# التضاد في شعر حامد الراوي وأثره في الانزياح الايقاعي

الاستاذ المساعد الدكتور
وسام محمد منشد
الباحثة
نبأ شاكر جابر
edu-arb.post55@qu.edu.iq
جامعة القادسية - كلية التربية

# The contrast in the poetry of Hamid Al-Rawi

**naba shaker jabber**
**a . M . Dr . Wissam Muhammad Munshid**
**University of Al-Qadisiya - College of Education**

**الخلاصة** :

يتنـاول البحـث دراسـة التضـاد في الشـعر مـن خـلال دراسـة صـوره في مجموعـات حامـد الـراوي ( مئذنة المـاء – سماء صغيرة – هوامش كحل – ارشيف الغوايـات ) , إذ قاربـت الباحثـة مفهـوم التضاد , وأشارت إلى كيفية تجليه في شعر الراوي , والوقوف على بنياته والياته فقد وقفـت عنـد التضـاد بواسـطة رصـد الظاهرة والتحليل لها من خلال الثنائيات الضـدية الأكثـر بـروزاً , وفهمهـا وكشـف خباياهـا الـتي تتجـاوز المألوف مـن البنيـة السطحية غلى البنية العميقة .

**الكلمات المفتاحية** : التضاد –مسافر التوتر –العتبات – التشكيل الايقاعي .

**Abstract:**

The research deals with the study of antagonism in poetry by studying its images in the collections of Hamid al-Rawi (Water Minaret - Small Sky - Kohl Margins - Archive of Seductions). By observing the phenomenon and analyzing it through the most prominent opposite dualities, understanding it and revealing its secrets that go beyond the usual from the surface structure to the deep structure.

**Keywords:** antithesis - tension traveler - thresholds - rhythmic formation.

**المقدمة** :

التضاد أحد أهم خصائص اللغة العربية وهو ذكر لفظين متضادين في المعنى ومختلفين لفظاً كالأسود والابيض , الطويل والكبير, وغالبا ما يستعمل التضاد في الشعر العربي الحديث للتعبير عن التناقضات والتركيبات المختلفة , إذ يكسب العمل الفني ديناميكية تثري الحركة في النص, وتأتي أهمية التضاد في طبيعة توظيفه داخل النص الإبداعي على مستوى العبارات والجمل , فالشعراء حينما يعبرون عن تجاربهم الشعرية فأنهم يتبعون عدة طرائق فمنهم من يتبع أسلوب السخرية وبعضهم التكرار وبعضهم الأخر الرمزية وبعضهم التضاد ويختلف أسلوب الشاعر عن هؤلاء في أستعماله للتضاد , إذاً هذه الدراسة تتناول التضاد الذي تعج به دواوين الشاعر حامد الراوي .

**التضاد**

التضاد في اللغة: " ضد الشيء خلافه، وقد ضادّه، وهما متضادان، ويقال ضادني فلان إذا خالفك فأردت طولاً واراد قصراً، واردتَ ظلمة فأراد نوراً" [1]، والضد هو " النظير والكفء، والضد خلافه، وضادّه ومضادّه، إذ باينه مخالفة، والمتضادان اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار"[2].

ويتضح من خلال الدلالة اللغوية للتضاد أنه يستلزم وجود طرفين حتى يضادّ أحدهما الآخر، ومن هنا تنشأ هذه العلاقة بين الثنائيات وبين التضاد.

أما في الاصطلاح؛ فقد نشأ التضاد في الدرس اللغوي من خلال الاعتماد على دلالة اللفظين المتضادين، إذ وضع سيبويه أسس هذا المصطلح اللغوي في كتابه إذ قال: " أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لإختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" [3]، وبينما ذهب قطرب إلى أن العرب أرادت من اختلاف اللفظين في المعنى أن تتسع لغتها، وإن مذاهب الكلام لا تضيق عليهم[4]، فقد عرف السجستاني

الاضداد بأنها: " الضد في كلام العرب خلاف الشيء، كما يقال الإيمان ضد الكفر، والعقل ضد الحمق"(٥).

واللغويون العرب قد تعاملوا مع التضاد بناءً على اللفظ والمعنى، وهذا ما تقاطع مع البلاغيين حينما عدوا الاختلاف في اللفظ والاتفاق في المعنى تضاداً بينما عدّه البلاغيون جناساً(٦).

يمثل التضاد بنية إيحائية تفتح أمام الشاعر مساحات تعبيرية جمالية تمكنه من استثمار مسافة التوتر(٧) والتعاقب بين الاضداد" وتمثيل التباين السطحي والعميق في الصورة والحدث من خلال الجمع الفجائي بين وحدتين متقابلتين"(٨)، وبما يدفع المتلقي إلى ملاحقة هذا التوتر ذهنياً لفهم السياق الشعري والمشاركة في انتاج معناه، إذ يأخذ التضاد تمظهرات عديدة في النص تجعل منه مرآة للاحتمالات الممكنة فيغدو عنصراً تشكيلياً يخرق الاساليب المكررة.

فالتضاد بما يمثله من " بنية تتضافر فيها الرؤى والافكار والمعاني لينتج نصاً زاخراً برؤى أخرى، ليتم توظيفها في السياق من أجل اتساع آفاقه" (٩)، فأنّ الدراسات الأدبية تعرّفه بأنه الجمع بين لفظ الشيء ونقيضه، أو المعنى ونقضيه، وقد يكون في الأفعال أو الأسماء(١٠)، إذ يقوم على علاقات الكلمة ضمن النص ليشكل عنصراً من عناصر الشعرية التي تجمع بين الشاعر والكلمة المفعمة بالمشاعر والاحاسيس، وبين المتلقي الباحث عن جمالية التعبير(١١)، فضلاً عن أن توظيفه يولد " فضاءً مائزاً للنص، إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية، فعلية بأزمنة مختلفة، فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور، تلتقي وتتصادم وتتقاطع وتتوازى، فتغني النص"(١٢).

وللتضاد قيمة موسيقية توازي قيمته البنيوية، فهو يسير باتجاهين متوازيين على المستوى التركيبي، ففضلاً عن منحه النص ايحائية دلالية فإنّه يمنحه أيضًا ايحائية موسيقية تتجلى في توظيف المتضادات الصوتية في بنية النص

الشعري، فعلاقات التبادل والتنافر القارة في بنية التضاد تكسب السياق فضاءً موسيقيًا يجعل من النص فاعلًا على مستوى التلقي[١٣]، من خلال وجود التناقض في التركيب الذي ينتج عنه نوعٌ من التناسب[١٤]، فيتشكّل بوجوده توازنًا بين الدلالة والصوت عبر بنية التضاد، ذلك أن" المقومات الصوتية في البلاغة العربية تعود مهما تنوعت إلى أصل واحد هو: الموازنة بين طرفين يتناظران كلياً أو جزئياً في عناصر تكوينها الصوتي"[١٥]، ومن هنا تأتي فاعلية التضاد في تكوين نغم موسيقي يتخذ من المساحة التي يشتغلها التضاد في النص الشعري مثيرًا محفّزًا للمتلقي، إذ يتناسب هذا المثير مع هذه المساحة تناسبًا طرديًا، فكلما اتسعت مساحته ازداد التوتر والاثارة[١٦]. وقد وعى الشاعر المعاصر هذه القيمة الأسلوبية للتضاد على المستويين الدلالي والايقاعي، فعمد إلى توظيفه في سياقاته الشعرية، مستثمراً إيحائيته، وباستقراء بسيط لنصوص حامد الراوي نلحظ فاعلية التضاد في حشد المعنى وتصويره واعتماده ملمحاً تعبيرياً جمالياً يمكنه دهشة المتلقي بهدف تحفيزه واشراكه في تمثل المعنى والتأثر به، ومن هذا قوله:

**(( طوى غروباً وأرخى خطوة تعبت**
**من الرجوع، ولن يجدي تقدّمُهُ**
**أسيان, يفتح قلباً ثم يغلقه**
**فلا يرى غيرهُ في الذنب يأثَمُهُ))**[١٧]

يقوم النص على توظيف التضاد توظيفًا أسلوبيًا، تتناوب فيه الأفعال لإنتاج بنى متضادة تمنح السياق حركة وحيوية، إذ يتمثل التضاد في الفاظ (طوى/ أرخى، الرجوع/ تقدمه، يفتح/ يغلق)، ففي(طوى/ أرخى)، يتسع السياق عبر التضاد المتدرج لإنتاج دلالة السير المتناوب بين السرعة والتباطؤ كاشفًا حال التشظي التي تهيّمن على السياق لتتناسب مع ضدية أخرى تتمثل بـ(الرجوع/ تقدمه) الأسمية الدالة على الثبوت لتعميق التشظي والتيه، ثمّ

تأتي صورة الانفتاح والانغلاق بدلالتها التضادية وصيغتها الفعلية الدالة على الاستمرار والتجدد لتضفي على السياق صورة كلية تعتمد التناوب بين وقوع المتضادات من جهة، وتعميق حال التشظي والتيه والخذلان من جهة أخرى، ويمكننا تمثيل السياق السابق بالخطاطة الآتية:

**خطاطة رقم (١)**

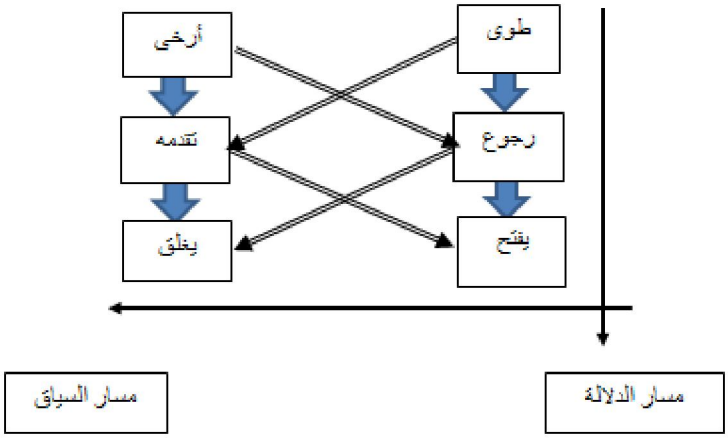


تتشكل الدوال المتضادة لتبني هندسة موسيقية في النص تتمثل بالصيغ البنائية التي جاءت عليها، فانتهاء(طوى/ أرخى) بألف مقصورة تنطوي على صوت الاطلاق، في حين نجد في(رجوع/ تقدّم) التناوب بين صيغتي(فعول/ تفعّل) فتنطوي على صوت الواو المنسرح المقابل لصوت الشدة في الدال المضعفة، ونجد في(يفتح/ يغلق) صوت الحاء الانفراجي بمقابل صوت القاف الاطباقي، وهي دلالات إيقاعية تشتمل على دلالات معنوية تعمّق حال التشظي والتيه بين الإسراع والتباطؤ.

يعمد الراوي إلى استثمار أقصى ما يوفره التضاد بوصفه بنية انزياحية تقتضي الجمع بين المدلولات المتضادة، لتوفير مساحة تعبيرية أكبر تمكّنه من التأثير بالمتلقي، ففي قوله:

**((أنا ريبة المعنى , وريث محبتي**

**وهواي في المعنى القديم جديدُ ))[١٨]**

يرتكز السياق على توظيف التضاد بين المدلولات، أي جمع الشاعر بين(القديم/ الجديد، خلفي/ قدامي)، لإحداث الدهشة في المتلقي، وإنتاج دلالة الانغماس في الهوى والعشق، ففي قوله(القديم . الجديد) دلالة عابرة للزمن، فهواه واحد سواء أكان قديمًا أو حديثًا، واستعمل الالفاظ معرّفة لإظهار دلالة اجتماعهما بوقت واحد، وهو ما يعمّق مسافة التوتر بين السياق والقارئ بإحداث الصدمة المفاجئة له، ثم يأتي المتضادان الأخران(خلفي/ قدامي) لإظهار الفضاء المكاني الذي يحتويه، معضّدًا دلالة الانغماس في الصورة الأولى عبر انتاج دلالة الإحاطة وعدم النفاذ من هذه الصورة.

ونجد توظيف التضاد في قوله:

**(( يولد الحبُّ هكذا، ثم يموت**

**فأكررها بعدك**

**يولد الحبُّ هكذا ثم لا يموت))[١٩]**

يتمثل التضاد عبر صورتين مختلفتين على المستوى البنائي، وهو في الفاظ(يولد/ يموت، يموت/ لا يموت) لتأكيد دلالة الحياة وتعميقها في النص، إذ يخلق الشاعر من لفظة(يولد) عتبة أساسية[٢٠] ينطلق منها إلى انشاء علاقات متضادة بين الالفاظ على المستوى التركيبي والدلالي، ويجعل من(يموت) ثيمة مهيمنة على المستوى التركيبي، لكنّه يجعل من دلالة الحياة ثيمة مهيمنة على المستوى الدلالي، إذ تتعمّق دلالة الحياة وتفوق دلالة الموت، عبر بنية النفي في(لا يموت)، ويمكن تمثيل بنية التضاد بالخطاطة الآتية:

**خطاطة رقم (٢)**

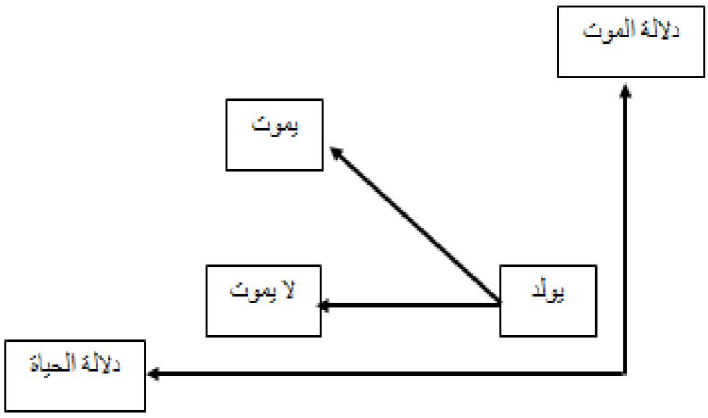


يوظف الراوي إلى جانب التضاد تقنية شعرية أخرى تتمثل في التوازي بوصفه: " فاعلية تناغمية تخلق التوازن وتحقق التكرار فيكون ذلك الجسر الذي يصل ما بين البناء النصي للشعر وما بين ابعاده الدلالية لأنه ذو فاعلية شاملة في الخطاب الشعري" [٢١]، ومن هذا قوله:

**(( ولكم أصبتُ فما بكيت**
**..وكم بكيتُ لما أصابك ))[٢٢]**

تتشكل الدلالة الايقاعية في النص عبر ثنائية التضاد/ التوازي، إذ تتوالد بنية التضاد عبر توظيف ثنائية ضدية تتمثل بـ(النفي/ الاثبات) المتمثلة بـ(ما بكيتُ/ بكيتُ)، لإنتاج دلالة العلاقة بين الشاعر والآخر وتقديمه على نفسه، فقد جاء النفي بنية أساسية تضع علاقة الشاعر بنفسه كعلاقة خارجة عن المألوف تقوم على الانزياح الدلالي بمقابل علاقته بالآخر القائمة على دلالة التضحية التي تصبح منزاحة أيضًا بالقياس إلى العلاقة الأولى، فتنتج ثنائية دلالية أخرى تقوم على(عدم اهتمام/ اهتمام)، فضلًا عن استعمال الشاعر لـ(كم) الخبرية التي تدل على الكثرة التي تمنح التضاد مساحة كبيرة تزداد معه مسافة التوتر بين النص والمتلقي لأحداث دهشة منتجة اكبر.

أما على المستوى الموسيقي، فقد جاءت ثنائية التضاد والتوازي لتحقق بنية ايقاعية تستثمر التقسيم الصوتي المتوازن للمدلولات، بما يضفيه من ازدياد المدى الزمني القائم على التوتر بشكل يتناغم مع تناغم الإيقاع في النص ككل[٢٣]، وهي بنية وفرّها التضاد عبر استحضار صورة الفعل ذاته مرتين بالنفي والاثبات، فضلًا عن إنتاجه بنية التقابل بين المدلولات، ومن هنا تأتي ايقاعية التضاد حين يتحوّل إلى وجه من وجوه الاتفاق، يمتد ليؤسس اتفاقًا صوتيًا بين الالفاظ[٢٤].

وعلى وفق هذا المنوال، يفيد الراوي من التقنيات الشعرية التي يحرص على تعاضدها لتعميق دلالات نصوصه، فيبني نصوصه بناءً هندسيًا التوظيف الايقاعي للتضاد كبنية قارة في النص، يقول:

**(( يدٌ على غيمة فضت مواسمها**
**وغيمة لم تزل تومي بغير يد))** [٢٥]

يتمثل التضاد في استعمل ثنائية(الاثبات/ النفي) على المستوى الاسلوبي، في حين نجد ثنائية ضدية على المستوى الدلالي تتمثل بثنائية(الخلو/ الامتلاء)، فالخلو الذي يهيمن على الشطر الأول يقابله امتلاء يهيمن على الشطر الثاني.

ينطلق الراوي في تأسيس صورته الشعرية في النص بارتكازه على بنية تشخيص الموجودات بإضفاء الحياة على الجمادات، ففي ثنائية(يدٌ/ بغير يد)، تشكل لفظ(يد) عتبة أساسية في بناء النص، فتشكل مع ضديتها(بغير يد) مساحة تنطلق فيها الألفاظ نحو دلالاتها، فتتناوب لفظتا(يد، غيمة) على مركزية النص، ففي الشطر الأول تأخذ (يد) نقطة الشروع، في حين تأخذ(غيمة) نقطة الشروع في الشطر الثاني.

شكّل التضاد وسيلة أخرى من وسائل التشكيل الايقاعي الداخلي، بما له من قيمة جمالية في الجمع بين الدلالات المتنافرة وصهرها وتحويلها إلى صور متناسقة، تظهر قدرة على تطويع اللغة وامتلاك أدوات الخلق الشعري .

## الخاتمة :

- شكّل التضاد وسيلة أخرى من وسائل التشكيل الايقاعي الداخلي، بما له من قيمة جمالية في الجمع بين الدلالات المتنافرة وصهرها وتحويلها إلى صور متناسقة، تعكس القدرة على تطويع اللغة وامتلاك أدوات الخلق الشعري .
- شكّل بنية ايقاعية ودلالية فاعلية في نصوص الراوي الشعرية، فتنوّعت صوره بين التضاد بين الالفاظ أو الاعتماد على بنية النفي في انشاء علاقة تضادية.
- اقترنت بنية التضاد مع بنية التوازي لإنتاج نغم ايقاعي يثري السياق بدلالات ايحائية تقوم على التلوين الموسيقي، لإحداث دهشة أكبر بالمتلقي باتجاه تحفيزه إلى تمثل المعاني والدلالات الشعرية التي ينطوي عليها سياق الراوي الشعري.

## Conclusion

Contradiction is another means of internal rhythmic formation, with its aesthetic value in combining discordant connotations, melting them and transforming them into harmonious images, reflecting the ability to adapt language and possession of poetic creation tools, as well as the formation of an effective rhythmic and semantic structure in the narrator's poetic texts. Between utterances or relying on the structure of the negation to create an antagonistic relationship, as the structure of antagonism was combined with the structure of parallelism to produce a rhythmic melody that enriches the context with suggestive connotations based on musical coloring, to cause greater surprise to the recipient towards motivating him to represent the poetic meanings and connotations involved in the poetic narrator context.

# هوامش البحث

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور , مادة (ضدد).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ٣٥٩.

(٣) الكتاب، سيبويه , ٢٤/١. وينظر: المزهر في علوم اللغة وانواعها، جلال الدين السيوطي, ٣٩٩/١.

(٤) ينظر: المزهر في علوم اللغة وانواعها، السيوطي، ٤٠٠/١.

(٥) ثلاثة كتب الاضداد للاصمعي والسجستاني وابن السكيت، د. اوغت هفز, ٧٢.

(٦) ينظر: مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي, ٤٢٩.

(٧) مسافة التوتر : أو الفجوة عند كمال أبو ديب , هي نص أدبي .. وهي لا تتحقق إلا من خلال الانحراف أو الانزياح عن درجة الصفر في الكتابة ؛أنها مصدر الشعرية في كل نص إبحائي, وهي لا تتحقق إلا حين تخرج اللغة عن المعيار اللغوي والثقافي .

(٨) ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي(مدخل لغوي اسلوبي)، د. محمد العبد، ٦٩.

(٩) متوالية (المثنيات المتلازمة) وأثرها في تشكيل رؤية النص الشعري قراءة في (وطن بطعم الجراح)، مشتاق عباس معن، سعيد حميد كاظم وناس، مجلة العميد، السنة٨، المجلد٨، العدد٣١، ١٦٨.

(١٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها , د. أحمد مطلوب , ٢٥١/٢ .

(١١) شعرية التضاد في قصيدة على قدر اهل العزم للمتنبي، محمد خليل الخلايلة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، المجلد ٤٢، العدد ١، ٢٠١٥م: ١١٩.

(١٢) الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، سمر الديوب، ١٦١.

(١٣) ينظر: أسلوبية البناء الشعري عند ابي طالب عم الرسول(ص)، د. كريمة نوماس المدني، مجلة العميد، السنة ١٠، المجلد ١٠، ( العدد ٣٨) ، ٢٠٢١م: ٦٩.

(١٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ٢١٧.

(١٥) الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، د. محمد العمري، ٢١.

(١٦) ينظر: دلالة الإيقاع وايقاع الدلالة، ١٧١.

(١٧) هوامش كحل: ٤١.

(١٨) سماء صغيرة: ٣٢.

(١٩) أرشيف الغوايات: ٨٧.

(٢٠) العتبات : العتبات في النص هي مجموع اللواحق أو المكملات المتممة لنسيج النص الدال .

(٢١) دلالة الإيقاع وايقاع الدلالة , موفق قاسم الخاتوني: ١٦٤-١٦٥.

(٢٢) سماء صغيرة: ١٣٥.

(٢٣) ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى الترشيحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، عبد الله الغذامي، ٣٣.

(٢٤) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل, ٢٩١.

(٢٥) هوامش كحل: ٥٥.

## قائمة المصادر والمراجع


- ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي(مدخل لغوي اسلوبي)، د. محمد العبد، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- أسلوبية البناء الشعري عند ابي طالب عم الرسول(ﷺ)، د. كريمة نوماس المدني، مجلة العميد، السنة ١٠، المجلد ١٠، ( العدد ٣٨) ، ٢٠٢١م.
- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- ثلاثة كتب الاضداد للاصمعي والسجستاني وابن السكيت، د. اوغت هفز، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م.
- الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، سمر الديوب، المركز الاسلامية للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ط١، ٢٠١٧م.

- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى الترشيحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط١، ١٩٩٨م.
- دلالة الإيقاع وايقاع الدلالة، موفق قاسم الخاتوني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٦م.
- ديوان ارشيف الغوايات، حامد الراوي، دار الجواهري، بغداد، شارع المتنبي، ط١، ٢٠١٥
- ديوان سماء صغيرة، حامد الراوي، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان- الاردن .
- ديوان هوامش كحل، حامد الراوي، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع،، بغداد- شارع المتنبي، ط١، ٢٠١٣ .
- شعرية التضاد في قصيدة على قدر اهل العزم للمتنبي، محمد خليل الخلايلة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، المجلد ٤٢، العدد ١، ٢٠١٥م.
- الكتاب، سيبويه(ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- لسان العرب، جمال الدين بن منظور(ت٧١١ه)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م: مادة (ضدد).
- متوالية (المثنيات المتلازمة) وأثرها في تشكيل رؤية النص الشعري قراءة في (وطن بطعم الجراح)، مشتاق عباس معن، سعيد حميد كاظم وناس، مجلة العميد، السنة٨، المجلد٨، العدد٣١.
- المزهر في علوم اللغة وانواعها، جلال الدين السيوطي(ت٩١١ه)، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، احمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق: عبد العظيم المنشاوي، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها , د. أحمد مطلوب , الدار العربية للمطبوعات , بيروت , ط١ , ٢٠٠٦ م .
- مفتاح العلوم، محمد بن علي السكاكي(٦٢٦ه)، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، د. محمد العمري، دار افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣، ١٩٨٧م.